سوزان إبراهيم
صحافية وشاعرة سورية.

يحدث في مدن القصيدة

. سوزان إبراهيم .

(لأرواح الشهداء الأطفال السوريين:
من قضى منهم... ومن ينتظر)

مثلَ قطّةٍ بيدٍ مغمدةِ المخالب،
تعابثُ ريما خشبَ بابِ القصيدة.
كانت أطولَ من زنبقةٍ بلديّةٍ..
وأقصرَ من مقبضِ البابِ بضحكتين.
ريما ابنةُ أحزانِ شاعرٍ
مرغمًا تخلّى عنها لدار اللغة لرعاية الأيتام.

❖❖❖

مبلّلةً بالتردد تحدّقُ بي
أتريدين اللعب؟
هززتُ ضفيرتين ذهبيتين.. وأهدابًا كغابة ساقانا.
في ذاكَ الضحى
لا أطفال.... لا أراجيح في الحديقة.
وقبل هطلٍ تبرعم في عينيها
غطّيتُ ريما بشال انتظار.

❖❖❖

مندهشينَ من رسمٍ كومبيوتريٍّ لأمتعتي،
اتهمني عناصرُ التفتيشِ بتهريب ممنوعاتٍ من الصرف!
في حقيبة يدي الصغيرةِ عثروا على
دمًى بألبسةٍ حريريّةٍ،
وأخرى محشوّةٍ بأصابع السكّر وغزْلِ البنات.
من حقيبة سفري الكبيرةِ،
تتدحرج أسوارةُ «جورجي» المزركشةُ بألفِ حكاية يتمٍ.
أرانبُ «أليس» البيضاءُ
بين أقدام دهشتهم تتراكض.. وتَقْضم جَزَرَ التقارير السوداء!

«جولي كور،» المشاغبُ في فرقة ريمي،
يحطّ على رأسِ كبيرهم.. فيهتاج.
بخطًى وئيدةٍ وعيونٍ برّاقة، تتغو عنزةُ «هايدي»
حين أمسكَ بيتر بعنقِها دفنتْ رأسَها في صدره
ثم...
أشرقتْ ضحكةُ ريما المحفوظةُ جيّدًا في قطعة شوكولا.

❖❖❖

الحدودُ مغلقةٌ.. والخندقُ المكهربُ يسوّرُها
فكيف أدخلتِ كلَّ هذا إلى البلد؟!
- يا أستاذ...
لسعتْني نظرةٌ حادّةٌ.
- عفوًا يا سيّد...
جلدتْني النظرةُ عينُها.
- يا سيييد..ددد....دي
(ومطرقةٌ تدقُّ مساميرَ الخوفِ في لوح قلبي)
صوتٌ يقولُ:
- هويّتُك يا سيّدة!!
(ربّاه... هل أعطيه الحمراءَ أم الخضراء؟!)

❖❖❖

في باحة التفتيش
جورجي، أليس، ريمي، هايدي، بيتر، وريما...
تحوك أيديهم خاتمَ ضوء
يدورون... يغنّون:
«هالصيصان شو حلوين... عم يدوروا حول أمهن مبسوطين
.....»
ضحكوا..
ضحكوا..
ضحكوا....
حتى اهتزّ قلبُ الله.
يجلس الجميعُ إلا ريما
تدورُ ويدُها على رأسِ كلٍّ منهم:
- رن.. رن يا جرس!
يرددون: «حوّل واركبْ ع الفرس»
- طاق طاق طاقيّة!
يرددون: «طاقيتين بعلّية!»
تضحك ريما.. تضحك.. وتنسى...
أنّ كوبرا سكّينٍ لدغتْها صباح أمس!

❖❖❖

دخلتُ المدينة.
- أشياؤك هذه ممنوعة يا سيّدة.
لكن...
كرمى لهويّتك الحمراء سندعُك هذه المرة فقط!
صخبُ الأطفال يشرقطُ مثلَ فرحٍ غزيرٍ عابر
لم نجدْ بائعَ الفولِ النابت
والعربةَ الموشّاةَ بمرطبانات الكمّون والملح والسمّاق... وبكومة من الليمون!
لم نجدْ:
كراسيَ القشِّ الصغيرةَ المربّعةَ،
بائعَ الذرةِ الصفراءِ الساخنة،
بائعَ الكستناءِ المنفتح بياضُها الأسمرُ على غلافٍ بنيٍّ مشوي،
بائعَ الترمس.
ولم يمرّ بائعٌ باقاتِ النرجس!

❖❖❖

هل نشتري البوظة؟
صرخَ الأطفالُ بأعلى غبطتهم: شوكو..لامو.....
حاجزٌ آخرُ يطلبُ هويّتي!
يتفقّدُنا بعينٍ حذرة:
- هذه الأشياءُ ممنوعةٌ يا سيّدة،
لكنْ...
كرمى لهويّتك الخضراء سنغضُّ الطرفَ هذه المرةَ فقط.

❖❖❖

مشى أطفالي كفرقة كشّافةٍ تغنّي:
«نقطعُ الدروب... نُفرحُ القلوب
ولنا في كل شارعٍ صديقْ
نقطع المدى... لا نؤذي أحدا
نزرع الأزهار في طولِ الطريق.»